

فضل القرآن ومكانته وحفظه

إن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وقد وصفه الله عز وجل بقوله: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ شَرِيرٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (1)

(1)

وهو منهج للحياة البشرية به تسع الأمم إذا امتننت كتاب ربها، وإنهم أعرضوا عن هذا المنهج الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهذا هو الخسران المبين.

وهو حبل الله المتيين والصراط المستقيم والنور الهادي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم وحكم ما بينكم وخير ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضل الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وهي نزل من السماء. كما وصفه سبحانه وتعالى بعده أوصاف مبيناً فيها خصائصه التي ميزه بها عن سائر الكتب فقال: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ رَضْوَانَهُ سَبِيلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْتِيهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (2)

وقال أبو بكر الأجربي رحمه الله : أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَغْلَمَهُ فَضْلَهُ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، وَأَغْلَمَ خُلُقَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ : أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ ، وَجَزْرٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، وَنُورٌ لِمَنْ اسْتَنَّ بِهِ ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

لَمْ أَمْرَ اللَّهُ خُلُقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ : فَيُحِلُّوا خَلَالَهُ ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِمَنْشَابِهِ ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَيَقُولُوا (أَمَّا بِهِ كُلُّ مِنْ حِدْنِ رَبِّنَا) (3)

لَمْ وَعْدُهُمْ عَلَى تِلَاقِهِ وَالْعُلُوِّ بِهِ : النَّجَادَةُ مِنَ النَّارِ ، وَالثُّخُونُ إِلَى الْجَنَّةِ .

لَمْ تَذَبَّ خُلُقَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هُمْ تَلَوُا كِتَابَهُ أَنْ يَتَبَرَّوْهُ ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذَا سِمِعُوهُ مِنْ عَيْرِهِمْ : أَحْسَنُوا إِسْتِمَاعَهُ .  
لَمْ وَعْدُهُمْ عَلَى ذِكْرِ التَّوَابِ الْجَزِيلِ ، فَلَهُ الْحَمْدُ .

لَمْ أَغْلَمْ خُلُقَهُ : أَنْ مَنْ تَلَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَرَادَ بِهِ مَتَاجِرَةً مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ ، فَأَنَّهُ يُرْبِحُهُ الرَّبِيعُ الَّذِي لَا بَغْدَةَ رَبِيعُ ، وَيَعْرِفُهُ بِرَزْكَهُ  
المَتَاجِرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَغَلَابِيَّةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ ثَبُورَ \* لِيُوَفِّيهِمْ أَجْوَرَهُمْ  
وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (4)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰهِيَّ هِيَ أَفْوَمُ وَيَبْشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا \* وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ أَعْذَنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (5)

وَقَالَ تَعَالَى : (وَتَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (6)

وَقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (7)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مِبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ أَنْتُمْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمْتُمُ بِهِ فَسَيَلَّخِلُّهُمْ فِي  
رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِي وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (8)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (وَاعْصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تُنَرِّقُوا) (9)

وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (الَّهُ تَرَأَّسَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُشَابِهًا مَثَابِي تَفَسِّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ زَبَرَهُمْ لَمْ تَلِنْ جُلُودُهُمْ

وَقَوْبَاهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِيٍّ )<sup>(10)</sup>.

وَقَالَ عَزْ وَجْلَ (وَكَذَكَ أَنْزَلَنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَنْهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُخَذِّلُهُمْ ذَكْرًا )<sup>(11)</sup>

لَمْ إِنَّ اللَّهَ عَزْ وَجْلَ وَعْدَ لِمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى كَلَامِهِ ، فَأَحْسَنَ الْأَدْبَرَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ بِالْأَغْيَارِ الْجَمِيلِ ، وَلَرْوَمُ الْوَاجِبِ لِاتِّبَاعِهِ ،  
وَالْعَمَلِ بِهِ ، يُبَشِّرُهُ مَنْ بِكِيلَ خَيْرًا ، وَوَعْدَهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلُ التَّوَابِ .

فَقَالَ عَزْ وَجْلَ (فَبَشِّرْ عِبَادَ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُولَ فَيُبَشِّرُونَ أَحْسَنَهُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَذَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَنْبَابِ )<sup>(12)</sup>

وَقَالَ عَزْ وَجْلَ (وَأَنْبِيَا إِلَى رِبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابَ لَمْ لَا تَشْتَرُونَ \* وَأَتَيْعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابَ بَعْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْتَرُونَ )<sup>(13)</sup>

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ : فَكُلُّ كَلَامِ رَبِّنَا حَسَنٌ لِمَنْ تَلَاهُ ، وَلِمَنْ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ صَفَةً فَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ  
تَبَعَّوْ مِنَ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مُؤْلَاهُمُ الْكَرِيمُ ، يَطْبَّوْنَ بِذَلِكَ رَضَاهُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ،  
سَمِعُوا اللَّهُ قَالَ (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَنْصِثُوا لَعْنَمُ تَرْحُمَنَ )<sup>(14)</sup> ، فَكَانَ حُسَنٌ اسْتِمَاعُهُمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى الشَّذَّارِ فِيمَا لَهُمْ  
وَعَلَيْهِمْ ، وَسَمِعُوا اللَّهُ عَزْ وَجْلَ قَالَ (فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ )<sup>(15)</sup> .

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنِ الْجِنِّ ، وَحَسَنٌ اسْتِمَاعُهُمْ لِلْقُرْآنِ ، وَاسْتِجَابَتْهُمْ فِيمَا يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ ، لَمْ رَجَعُوا إِلَى فُوْمِهِمْ ، فَوَعْظُوهُمْ بِمَا  
سَمِعُوا مِنَ الْقُرْآنِ بِأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُؤْعِظَةِ . قَالَ اللَّهُ عَزْ وَجْلَ (فَلَمَّا أَتَيَهُمْ نَفْرَ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآنًا عَجَباً  
)<sup>(16)</sup> .

وَقَالَ اللَّهُ عَزْ وَجْلَ (وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ فَلَمَّا أَنْصَثُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى فُوْمِهِمْ مُنْتَرِينَ \* قَالُوا  
يَا فُوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصْنِفًا لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ \* يَا فُوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَأَمْنُوا بِهِ )<sup>(17)</sup>

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ : وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزْ وَجْلَ فِي سُورَةِ قُرْآنِ الْمُجِيدِ ، مَا دَلَّتْ عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَابٍ حَكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ ، لَمْ ذَكَرْ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ ، لَمْ ذَكَرْ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِهَا ، لَمْ ذَكَرْ الجَنَّةَ ، وَمَا أَعْدَ  
فِيهَا لَأُولَئِيَّاهُ ، فَقَالَ عَزْ وَجْلَ (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَرِيزَةٌ )<sup>(18)</sup> إِلَى آخرِ الْآيَةِ ، لَمْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّارِي لِمَنْ كَانَ لَهُ  
قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ )<sup>(19)</sup> .

فَأَخْبَرَ جَلَّ ذِكْرَهُ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأَدْبَرِهِ يَتَبَعِي أَنَّ يَكُونَ شَاهِدًا بِقُلْبِهِ مَا يَتَلَوُ ، وَمَا يَسْمَعُ ، لَيَتَنْتَعِ بِتَلَوِّتِهِ لِلْقُرْآنِ ، بِالْاسْتِمَاعِ مَمَّنْ  
يَتَلَوُهُ . لَمْ إِنَّ اللَّهَ عَزْ وَجْلَ حَتَّى خَلَقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَزْ وَجْلَ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْلَاهَا )<sup>(20)</sup>

وَقَالَ عَزْ وَجْلَ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِذْبٍ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْلَاقًا كَيْلِرًا )<sup>(21)</sup>

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ : أَلَا تَرَوْنَ رَحْمَنَمُ اللَّهِ إِلَى مُؤْلَكِمُ الْكَرِيمِ ؛ كَيْفَ يَحْتُ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ  
عَرَفَ الرَّبَّ عَزْ وَجْلَ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَفُدْرَتِهِ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَقْصِيلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَرَفَتْ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ ،  
فَاللَّرْمَ نَفْسَةُ الْوَاجِبِ ، فَخَيْرٌ مِمَّا حَدَّرَهُ مُؤْلَاهُ الْكَرِيمُ ، وَرَغْبَ فِيمَا رَغَبَ فِيهِ ، وَمَنْ كَانَ هَذِهِ صَفَةً عِنْدَ تَلَوِّتِهِ لِلْقُرْآنِ ، وَعِنْدَ  
اسْتِمَاعِهِ مِنْ خَيْرِهِ ، كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً ، فَاسْتَغْشَى بِلَامَ ، وَعَزْ بِلَامَشِيرَةٍ ، وَأَنْسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ خَيْرَهُ ، وَكَانَ هَمَّهُ عِنْدَ  
تَلَوِّنَ السُّورَةِ إِذَا افْتَحَهَا : مَتَّى أَتَيْظُ بِمَا أَتَتُهُ ؟ ، وَلَمْ يَكُنْ مَرَادَهُ مَتَّى أَخْتَمَ السُّورَةَ ؟ ، وَإِنَّمَا مَرَادَهُ : مَتَّى أَعْقَلَ عَنِ اللَّهِ الْخِطَابِ  
؟ ، مَتَّى أَرْدَجَ ؟ ، مَتَّى أَعْتَزَ ؟ ، مَتَّى أَتَلَوَّتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةً ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بِعْثَةً ، وَاللهُ الْمُؤْمِنُ

(1) فصلت: ٤٢

(2) المائدة: ١٥ - ١٦



آل عمران: ٧

فاطر: ٢٩ - ٣٠

الإسراء: ٩ - ١٠

الإسراء: ٨٢

يونس: ٥٧

النساء: ١٧٤ - ١٧٥

آل عمران: ١٠٣

الزمر: ٢٣

طه: ١١٣

الزمر: ١٧ - ١٨

الزمر: ٥٤ - ٥٥

الأعراف: ٤ - ٢٠

ق: ٤٥

الجن: ١

الأحقاف: ٢٩ - ٣١

ق: ٣٥

ق: ٣٧

محمد: ٤٢

النساء: ٢١